الشاعر العراقي سعدي يوسف بسبب نقده لحكّام الخليج).

الآخر في نمط الكوميديا اللبنانيّة التلفزيونيّة هو التأثّر الكبير بالكوميديا التلفزيونيّة الأميركيّة وبمساوئها. ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في برنامج «بي.بي.شي» خصوصاً من المُقدّم سلام زعتري. لا حاجة إلى هذا الكم الهائل من التعابير الأميركيّة المحليّة ومن أنماط التعبير الأميركيّة الكوميديّة (حتى مشهد بصق القهوة أو الشراب). هل يظن مقدّمو تلك البرامج أن الشعب الأميركي يشاهدهم أو أن طريقهم إلى العالميّة هو في الإفراط في استعمال الكلمات الإنكليزيّة والتعابير الأميركيّة ونقل المشاهد الأميركيّة التلفزيونيّة؟ لا حاجة إليها على الإطلاق. لكن التأثّر بالكوميديا الأميركيّة يظهر أيضاً في اعتناق سطحي للسياسة (أي تلك المواقف التي لا تؤثّر على شعبيّة النجوم): مثل نقد القاذورات وانتقاد الكسّارات من دون تسمية والتذمّر من زحمة السير (مع عدم التطرّق لمسؤوليّة رفيق الحريري الذي رفض إنشاء شبكة مواصلات عامّة في لبنان) أو الحديث عن الغرب كأننا نحن جزء منه. وسلام الزعتري يستطيع أن يعلن تأييده لقائمة الحريري من دون أن يؤثّر ذلك على تقبّله، لكن إعلان موقف لصالح حزب الله ينهي المصادقيّة الكوميديّة في لبنان. واستضاف سلام الزعتري صحافيّاً لبنانيّاً على برنامجه وحدّثه الأخير عن القصف الأميركي لسوريا بإعجاب (وتحدّث سلام عن الـ«توماهوك» كأنها ألعاب أو كان القصف الأميركي لا يصيب مدنيّين ومدنيّات) وأنه ذروة الأخلاقيّة. لكن لو أن الزعتري استضاف أحداً يلهج بحمد القصف الروسي أو السوري، لما كان سمح له بالحديث من دون مقاطعة (أو لما كان قد استضافه أصلاً).

وتجتمع البرامج الكوميديّة في إهانة المثليّين (المثليّات متجاهلات كما (غالباً) في الشرع الإسلامي لأن الفعل الجنسي يرتبط بأذهان الذكوريّين بالرجل وعضوه فقط). والسخرية من رجولة الفرد تكون - في تلك البرامج - عبر التعبير بالمثليّة (وهناك من يخرج عن الدور الكوميدي لينفي تلك التهمة من أساسها عن نفسه، كي لا يقطع بنصيبه). والسخرية من المثليّة لا تزال أسيرة التفكير النمطي التقليدي القديم، الذي على أساسه يشتهي كل رجل مثلي أن يمارس الجنس مع كل وأي رجل يصدفه في الحياة. لا انتقائيّة ولا أذواق عند المثليّين، يتصوّر أعداؤهم.

وتشير بعض البرامج الكوميديّة إلى الحريّات الإعلاميّة، لكنها تتحدّث عنها بانتقائيّة. يمكن الإشارة مثلاً (ودوماً) إلى 7 أيّار (التي وصفها محمد قبّاني في حديث مع باحثة أميركيّة بأنها «كربلاء السنّة»)، أو إلى اعتداء (متكرّر) من أنصار من حركة «أمل» على محطة «الجديد». لكن فرض

> **تجتمع البرامج الكوميديّة في إهانة المثليّين**

النظام السعوي حظر محطات تلفزيونيّة عربيّة بحالها عن القمريْن الصناعيّيْن العربيّيْن لم يثر اعتراضات تُذكر. نظام عربي يقرّر أن من حقّه حظر محطات تنتقده من دون أن يثير ذلك اعتراضات من ليبراليّي وليبراليّات الإعلام اللبناني، أو من كوميديّي لبنان. لو أن إيران قامت بفعل ذلك، لكانت الاعتراضات في الشوارع ولكان الإعلاميّون قد تنادوا لرفع الأقلام والشموع والبقدونس، ولكانت الحلقات الكوميديّة قد خصّصت حلقات تضامن.

وجو البرامج الكوميديّة والاختلاط مع الإعلاميّين (من محطات معيّنة فقط) يضفي جوّاً من الـ«خوشبوشيّة» المنحازة، أو علاقة قربى مزعجة. تكفي مقارنة طريقة استضافة سلام الزعتري لبولا يعقوبيان مع طريقة استضافته الزميلة في «الأخبار» زينب حاوي. مع يعقوبيان، كانت المقابلة مزاحاً من الطرفين يتخلّله مديح من الزعتري لـ«جمال» يعقوبيان ولعملها الإعلامي. لا يتعرّض في المقابلة مثلاً إلى الدور الإعلامي لعائلة الحريري. اما في مقابلته مع زينب حاوي، فطفق يسألها عن حزب الله: أي أنه لم يرَ فيها إلا امرأة محجّبة وأن حجابها يدلّ على سياستها. لا بل هو اعتبرها - بسبب حجابها - ممثّلة رسميّة وناطقة باسم حزب الله. وفي أثناء المقابلة، سألها فجأة من دون مقدّمات، عن رأيها في مذيعات «إم.تي.في» وقهقه. قد تكون تلك النكتة مشتركة مع نفسه، أو مع غيره، لكنها كانت مزعجة ونافرة. هل الإعلام المحلّي يستبطن أيضاً قيم معاداة العرب والإسلام من الغرب؟ ألهذه الدرجة يعيش هؤلاء في جو الثقافة الغربيّة؟ والزعتري (الذي اعتقلَ من دون حق أو سبب بعد أيّام من 11 أيلول فقط لأنه عربي في أميركا، مع أنه لا يكنّ اليوم أي عداء للحكومة التي ظلمته) يُفترض أن يكون ملمّاً بدرجة العداء الغربي للعرب والمسلمين بحكم إقامته في أميركا (وإقامته في أميركا لبعض سنوات عرّفته على مكامن الثقافة السياسيّة السائدة في أميركا، وهو اعترف في حديث إلى «الحياة» بعد إطلاق سراحه أنه كان يزعم أنه فرنسي في أميركا كي يهرب من الهويّة العربيّة وطلب من أصدقائه بعد 11 أيلول أن ينادوه باسم أميركي).

الكوميديا منتعشة تجاريّاً في لبنان لكنها لا تؤذي السلطات الحاكمة. وهناك إفراط في تقليد الـ«ستاند أب كوميدي» الأميركي وهو نادراً ما يهزّ السلطة. والكوميديا اللبنانيّة تعرّفت إلى تجربة الفذّ زياد الرحباني، الذي فتح آفاقاً جديدة للسخرية الثوريّة وتهشيم القيم السياسيّة السائدة. أما الكوميديا اللبنانيّة فهي ترسّخ مفاهيم رجعيّة في المجتمع، بالنسبة إلى المرأة والمثليّة والطائفيّة. يستعين برنامج «بي.بي.شي»، مثلاً، بممثّلين عن طوائف، وكل يلعب دور نمطيّة الطائفة. وهذا النوع من الكوميديا الذي يعتمد على النمطيّة التصوريّة كان يجب أن ينتمي إلى ماضي الكوميديا لا إلى حاضرها. تخلّت الكوميديا الأميركيّة، مثلاً، عن نمطيّة الأعراق في الثمانينيات. والذي يرجع إليها يُقصى من الحقل اليوم. وتنميط الطوائف ليس متساوياً: هي تذكّر بكوميديا بيل ماهر الذي يقول إنه لا يعادي المسلمين بحجّة أنه يسخر أيضاً من اليهود ومن المسيحيّين. لكن هو يسخر في روتينه من صفات لا تُقارن بإصراره على ربط الإسلام كدين بالإرهاب. بكلام آخر، إن الكوميديا اللبنانيّة محافظة وهي غالباً سمجة، مع أن برنامج «بي.بي.شي» و«لهون وبس» فيهما الكثير من الظرف والابتكار والإضحاك والمهارة وحتى الإبداع - أحياناً - ويمكن أن يكونا أفضل لو أنهما عمدا إلى التقليل من السوقيّة الجنسيّة السهلة.

الهوس بالعالميّة أفسد الكوميديا اللبنانيّة، وهو يصيب الكوميديا المصريّة أيضاً. حالة باسم يوسف بليغة. ظنّ أنه سينقل إلى اللغة الإنكليزيّة في أميركا تجربته في الكوميديا، وهي فشلت بالكامل. لا يزال يُعرّف هنا، عندما يحلّ ضيفاً لدقائق في برامج كوميديّة، على أنه «جون ستيوارت مصر»، لا أكثر. والهوس بالعالميّة يصيب كل الفنون، وجلّ ما يمكن أن يصل إليه العربي هو ما وصلت إليه هبة طوجي في باريس: أي الفشل في برنامج هواة لفنّانة محترفة (طبعاً، يسهل بعدها لوم اللوبي الصهيوني على فشلها). الكوميديا المحليّة لا تنجح ما لم تنسَ الجمهور الغربي. والتأثّر بكوميديا فرنسا، أو أميركا خصوصاً في حالة الكوميديا التلفزيونيّة اللبنانيّة، يسيء إلى الكوميديا ويفشل في نقل أصحابها إلى الغرب. والكوميديا الأميركيّة ليست مثلاً يجب أن يُحتذى بالضرورة. إن برنامج «ساتردي نايت» المصري أفضل بكثير من النسق الأميركي الباهت الذي فشل في إضحاك إلا طبقة إعلاميّي واشنطن. الفن لا يحتاج إلا إلى التغريب كي ينجح. والكوميديا اللبنانيّة، كما في تجربة زياد الرحباني تنجح ليس فقط في عكس أهواء وعيوب الجمهور، وإنما أيضاً من خلال تغيير أهواء الجمهور وتفكيك خطابه، أو التأثير فيه على الأقل.

* كاتب عربي (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

عندما لا يشتري المال الخليجي شيئاً

زينب عقيل *

ثمة قنابل وقذائف وغارات سعودية لا يُسمع لها ضجيج في أروقة الإعلام الأميركي وبيوت التفكير Think Tanks ومراكز الأبحاث والدراسات التي تعمل تحت مظلة تثقيف المجتمع المدني وتنويره بشكل عام، وتقديم النصيحة لصناع القرار بشكل خاص.

لطالما تمّ تصنيف هذا الصمم الانتقائي على أنه سوء لاستخدام القوة الأميركية التي تهيمن على الخطاب السياسي بعدما نصبت نفسها حارسة الديموقراطية وحقوق الإنسان حول العالم. من يملك القوة يملك الخطاب، ومن يملك الخطاب تدور معه الديموقراطية وحقوق الإنسان كيفما دار.

الواقع أن ما نؤوّله صمماً انتقائياً هو من الوظائف الطبيعية للأذن الأميركية. فالفكر الأميركي عندما أنجز فلسفته «البراغماتية» أعاد تعريف الحقيقة على أنها الفكرة التي تملك أثراً عملياً نافعاً. ففي كتابه «البراغماتية»، يرى وليام جيمس أنّ الحقيقة والواقعية هي شيء يخلقه الإنسان لإيجاد توافق ناجع بينه وبين العالم. وصِدقُ الفكرةِ وصِحّتُها، هو النفع الذي يتحقق من خلال التجربة العملية. وعليه، فإنّ «البراغماتية تصرف النظر عن الأشياء الأولى والمبادئ، والمقولات، والضرورات المفترضة وتتجه إلى الأشياء الأخيرة، والآثار والنتائج والوقائع». على هذا الأساس، يتمّ بناء كل ما يتعلق بالحقيقة في السياسة الأميركية. إنها ليست أمراً آخر سوى النافع والمفيد. فنكتشف عندها مثلاً، أنّ مسألة إبادة الشعوب الأخرى ليس انحرافاً عن الحضارة الأميركية، بل هو في صميمها (الهنود الحمر، القنبلة الذرية، فييتنام، الشعب الفلسطيني والشعب اليمني).

إلى ذلك، ماذا يعني الإجماع في واشنطن لمصلحة الوهابيين المستبدين المخالفين للقيم الأميركية؟ ماذا يعني التزام الخبراء العلميين بالدفاع عنهم؟ وكيف نؤوّل معارضةً خجولة من قبل هؤلاء بخصوص الحرب على اليمن، في حين استمرّ الغضب أياماً على خلفية انتقاد أوباما لسلوك المملكة السعودية مع النساء ودعمها الحركات الأصولية، ودعوته لها لأن تتعلم تشارُك الشرق الأوسط من إيران.

تعليقات أوباما المكتومة تمّت إدانتها من قِبل «العلميين» بتعابير مثل: «يلعب لعبة تحميل المسؤولية»، «خيانة فهم مفجع لما تعنيه أن تكون في الموقع رقم واحد»، «علامة على أنه هاوٍ مهمل وأحمق»، «وضع الحلفاء جانباً»، «تعجرف مغرور»، «يلوم الآخرين لفشله»، «يمكن مقارنته بدونالد ترامب»...

تحت عنوان «كيف أسرت العربية السعودية واشنطن» أعدّ محرر الشؤون الخارجية لموقع فوكس VOX ماكس فيشر تقريراً طويلاً (2016) أورد فيه آراء مجموعة من الموظفين الحكوميين في السياسة الخارجية وبعض الخبراء والباحثين. اللافت في هذا التقرير أن الجميع تحدثوا كمصدر مجهول. ثمة إجماع على أنّ «العربية السعودية ودولاً عربية غنية بالنفط اشترت الإخلاص والتأثير».

قد يبدو هذا جواباً منطقياً يفسّر التزام هؤلاء بالدفاع عما يبدو لنا نقيضاً لجوهر قناعاتهم، ويفسَّر على أنه انحراف وأنانية وسوء تصرّف أن يبيع الباحث رأيه العلمي. غير أن بعض الموظفين الحكوميين يرون أن المال الذي يُصرف لهم «يقوي معايير وعادات هي في الأصل موجودة سابقاً ويُحبّذ إجماعاً لدور السعودية». إذاً، المال يلعب دوراً معمِّقاً للتحيّز الذي سينشأ حتى في غياب ذلك المال؛ كل ما في الأمر أن ثمة رقابة ذاتية ستنشأ لدى الكاتب، وسيفكّر مرتين قبل أن يناقش موضوعاً عن الديموقراطية وحقوق الإنسان في المنطقة الخليجية لا يشغل باله أصلاً؛ «فالإساءات موجودة في كل مكان، وهناك ملايين الأشياء الأخرى التي يمكنني أن أكتب عنها، لماذا أخسر بعض المال!». يقول مفكّر مموَّل من قبل الخليج.

التحيز، يُطلق عليه في الأوساط العلمية اسم التحيُّز البحثي أو التحيُّز المختبري، وهو العملية التي يؤثر بها القائم بالبحث على النتائج من أجل الحصول على نتيجة مُعينة. يؤكد الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته «اليهود واليهودية والصهيونية»، أن التحيّز سببه المنطلق المفاهيمي أو النموذج المعرفي الذي يتم الانطلاق منه وعلى أساسه توضع الأمور في سياقها. الواقع أن التحالف الأميركي السعودي هو حاجة استراتيجية للأميركيين في الشرق الأوسط، وبالتالي فإن أميركا هي المحتاجة إلى الحفاظ على الوكلاء المطيعين في المنطقة. ثمة تحيّز «براغماتي» راسخ لمصلحة السعوديين كشريك دائم لأميركا، لا تحتاج معه الدول الخليجية إلى الهبات «لتطوير التحليل الاستراتيجي» لمصلحتهم.

من هنا، يتضح أن الاستثمار الأميركي لدول الخليج لا يقتصر على الهيمنة وأسواق النفط والسلاح، ثمة استثمار للغباء الخليجي أيضاً، تستفيد منه بيوت التفكير السيئة السمعة هذه. فالمجامع الفكرية في واشنطن «قطاع يحتله العرب» على حد تعبير المصادر المجهولة في التقرير، في إشارة ضمنية إلى أنّه ساحة مزايدات بين دول الخليج؛ بدأ عام 2013 مع القطريين بمبلغ 8,14 ملايين دولار، وتبعته استثمارات إماراتية وسعودية كحركة مزايدة عام 2014، في الوقت الذي كانت فيه الأزمة المالية محسوسة في المجامع الفكرية، كما في الجامعات بسبب الأزمة التي بدأت عام 2008.

ومع أنّ التقرير يرى أنّ بإمكان المال الخليجي أن يشتري سلوكيات أي مجمع فكري ويؤثر بها على السياسة الخارجية، فإنه أيضاً يمكن لأي دبلوماسية خارجية، مهما كانت خبرتها متواضعة ومداركها متخلّفة، أن تدرك حجم الاستفادة الأميركية من العربية السعودية. والتي جعلت التحيّز البحثي نصب أعين «العلميين» البراغماتيين دونما حاجة إلى الإقناع، إلا أن البراغماتية نفسها تقول: الحق والصحيح أن أبتزّ المغفلين، فكيف إذا جاءني المغفل لينفق ماله طواعية على ابتزازي له.

قد يبدو ترامب أحمق بسبب التعليقات الصريحة والمباشرة، والحق أن خلف «حُمْقه» هذا سياسةٌ اعتمدها كل أسلافه ولكن بالمواربة. فـ«أتعاب الدفاع» التي عبّر عنها لم يكن من سبقه زاهداً فيها، وقد كانت تُدفع طواعية، إلا أن ترامب «التاجر» رأى أن باستطاعته أن يربح المزيد، فالسعودية لم تُظهر يوماً أي سلوكٍ يشي بعدم استعدادها لدفع المزيد.

يُتوقع في القمة المرتقبة لدى زيارة ترامب للسعودية، أن يحصّل ترامب «أتعاب الدفاع» عن المملكة على شكل 40 مليار دولار من الاستثمار في البنية التحتية في الولايات المتحدة، وعلى الأغلب 100 إلى 300 مليار دولار من مشتريات الأسلحة. وحبة مسك بأن يتسلّم ترامب زعامة الإسلام بشكل مباشر. أما بخصوص إعلان تطبيع العلاقات مع اسرائيل، فسيَسْفَحُها آل سعود على شرف الضيف الكبير، وسيخطو ترامب من فوقها إكراماً للعادات والتقاليد الوهابية.

*** صحافية لبنانية**